تيار الماضي . . ؟

بقلم : الاستاذ محمد شراره

اذا كان شعر فالنسيب المقدم
أكل فصيح قال (شعراً) متيم ؟!!

وفكرة الشاعر العربي واضحة في هذا البيت الذي يبدأ به قصيدته ، فالشعر ـ مهما كان موضوعه ـ يجب أن يبتدئ بالنسيب ، والتغزل بالمرأة ، وليس من الضروري أن يكون الشاعر « متيما » حتى يباح له هذا الابتداء ، وليس « التيتيم » شرطاً أساسياً للفصاحة في قصيدة الشاعر ، بل يستطيع الشاعر أن ينظم شعراً « غراميا » ولو لم يكن مغرماً ، ويستنكر الشاعر ـ وكأنه يحس اعتراضاً ـ أن يكون الحب شرطاً للفصاحة ، ويسوق استنكاره في هذا الاسلوب الاستفهامي .

وبالرغم مما عرف عن هذا الشاعر من مخالفة للمألوف يمضي في هذا الاسلوب التقليدي ، ويسير في قصائده على هذه الطريقة التي ساد عليها بقية الشعراء من قبله ، فيبدأ كثيراً من قصائده بالحديث عن المرأة عن « عينها » مثلا

لعينيك ما يلقى الفؤاد ومالقى وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وعن « وجده » الشديد الذي يفوق (وجد) الحمائم

يجد الحمام ولو كوجدي لانبرى شجر الأراك مع الحمام ينوح

وعن (حرارة أنفاسه) أيضاً

ويسمن عن برد خشيت أذيبه من حر انفاسي فكنت الذائبا

وهكذا يمضي الشاعر في الحديث عن « المرأة » والمرأة لا تعرف لها « وجودا » غراميا في حياته ، وعن « الوجد » وهو لا يعرف الوجد ، وعن (حرارة الانفاس) والأنفاس تنكر هذه (الحرارة) الغرامية ... وإذا كان الأمر كذلك أفلا يحق للناس أن يقفوا عند هذه المعاني التي لا وجود لها في حياة الشاعر ، وأن يتساءلوا عن (كيفية) وجودها في شعره بعد الايمان بلا وجودها في حياته ؟!

الدمشقي ، رآها بالموصل في خزانة علي بن احمد العمراني (٢٢)

واشار ايضا في كلامه على ابي العتاهية الى ان « الذي رأيت من شعره بالموصل نيف وعشرين جزءاً انصاف الطلحي بخط ابن عمار كاتب شعر المحدثين . وكان مارأيته يدل على انها من ثلاثين جزءاً » (٢٣) .

ولم يتعين عندنا أين رأى ابن النديم شعر ابي العتاهية ؟ أفي خزانة العمراني هذا الذي رأى فيها بعض الاسفار على ما أسلفنا ، ام في (دار العلم بالموصل) (٢٤) أم في خزانة كتب موصلية أخرى نجهل أمرها ؟

خزانة عز الدين الفاروثي

كان هذا الرجل من اهل الفاروث ، وهي قرية على شاطئ دجلة ، بين واسط والمذار (٢٥) . وقد عرف بالزهد والتصوف . سمع الحديث ورحل فيه ، فقدم الى دمشق مرتين ، ثم عاد الى وطنه ومات بواسط سنة ٦٩٤هـ ﴿ ١٢٩٤ م ﴾ . وكان الفاروثي ، على ما ذكر ابن كثير ، قد ﴿ خلف ألفين ومائتي مجلد ﴾ [٢٦] .

فخزانته هذه ، هي الخزانة الواسطية الوحيدة التي وقفنا على خبرها .

---

[٢٢] الفهرست [ص ٢٦٥] وانظر اخبار الحكماء [ص ٦٤] .

[٢٣] الفهرست [١٦٠] .

[٢٤] وصفنا دار العلم هذه ، في مقال لنا بمجلة سومر ﴿ ٢ [١٩٤٦] ص ٢١٩ ﴾ .

[٢٥] معجم البلدان [٣ : ٨٤٠ طبعة وستنفلد] .

[٢٦] البداية والنهاية في التاريخ [١٣ : ٣٤٢] .

وما من شك بأن للناس حق الوقوف ، وحق التساؤل ، وكان على الشاعر حق الجواب ، ولكن الشاعر مضى ولم يجب لأنه لم يسأل ، ولو سئل لتأمل ، ولو تأمل لما رأى شيئاً في تأملاته يتجاوز تيار الماضي الذي اندفع الشاعر في أمواجه كما اندفع غيره من قبله ومن بعده في هذه الأمواج السيالة ..! والماضي قوة كسائر القوى العمياء ، تنحدر انحدارها العنيف في الحياة ، وتنكر على الوجود كل وقوف يحاول به المعارضة ولم يستطع الشاعر - على رغم جبروته واعتداده بنفسه - أن يقف في وجه هذه القوة بل نزل عند رغبتها وذهب يغني في مطالع قصائده الحاناً مستعارة ..!

وإذا كان مثل هذا الشاعر الجبار الثائر يخضع لهذه القوة الطاغية ، ويسير تحت لوائها فمن الضروري أن نعرف هذه القوة ، ونعرف العناصر التي تمدها بالحياة حتى نعرف كيف تفرض سيطرتها ، وتمد أجنحتها على الدنيا وعلى الحياة لكي تتسنى لنا مواجهتها - فيما بعد - بالاسلوب الضروري... فما هي؟!

إنها مجموعة تشبه « الانسكلوبيديا » تتمثل فيها ألوان من التفكير ، فقد تتخذ من « الفلسفة » لوناً ، وقد تتخذ من (الدين) لوناً ؛ وقد تتخذ من القانون (لوناً) وقد تتخذ من (العلم) لوناً ، وقد تتخذ من (الاساطير) لوناً ، وقد تمزج هذه الالوان كلها وتتخذ من امتزاجها شكلاً مختلف الالوان وتظهر به على الناس وعلى الحياة ، وقد أفاقت الاجيال على هذه الالوان ونظرت فيها نظرات مختلفات ، وكانت فيها عقائد مختلفات واخذت فئة قليلة تحيطها كلها بهالة من (القداسة) وكانت في هذه (القداسة) أسرار عظمتها ، وإكسير حياتها

لقد عورض (سقراط) وعورض (غاليلو) وعورض (لوثر) وهوجم (جان جاك روسو) ، وأوذي (الانبياء) وقتل كثير من المصلحين وكان (الماضي) وحده هو الخط الذي يقف وراءه الدفاع ، وينطلق منه الهجوم على العلماء والانبياء والمصلحين .! وقام (العقل) من ناحيته بهجوم على هذا الخط الحصين ، وقدم كثيراً من الضحايا في سبيل تحطيمه ، ونجح العقل في كثير من الاحيان ، ولكن « الماضي » لا يلبث أن ينفض عن نفسه غبار الهزيمة ويعود إلى الحياة ولكن بشكل آخر ، فقد حوربت (الوثنية) مثلا ، وخيل للعقل أنها ماتت إلى غير عودة ، ولكنها ما لبثت أن عادت في (عبادة الزعماء) وحووب « الربا » ولكنه ما لبث أن عاد بشكل أفظع في « الحيل الشرعية » وحوربت (الاساطير) ولكنها ما لبثت أن عادت باسم « الفن » .! وهكذا كان (الماضي) يسقط ويخيل للناس أنه تكسر ، وتحطمت عظامه وإذا به يعود (حيا) ولكن بشكل آخر ... وعلى كثرة الضحايا التي قدمتها الانسانية في محاربة هذا العفريت الخرافي فلم تستطع أن تقطع رؤوسه كلها كما فعل الأمير (راما) في الاسطورة الهندية المعروفة ..!

ويعود « الفضل » - إذا كان ذلك يسمى فضلا - في هذا (البعث) إلى العناصر القديمة التي تندس في الجيل الجديد بعد فشلها في الدفاع عن الانظمة القديمة ، ونستطيع أن نضرب مثلا لذلك بالعناصر الجاهلية التي دخلت في الدين الاسلامي ثم عملت بعد ذلك على تحويل التيار ، وإعادة الخصومة القبلية الى الحياة حتى كانت ذلك سبباً من الاسباب الكبرى في انهيار الدولة ، وتعتمد هذه العناصر في تحقيق مآربها على بقايا الجيل القديم الذي يجد في الحياة الجديدة غربة ووحشة ، وحال هذه البقايا يشبه إلى حد بعيد بعض الاطفال الذين أرغموا على الدخول في مدرسة حديثة منظمة فانهم لا يلبثون أن يواجهوا مشاكل عديدة لا طاقة لهم بحلها من أنفسهم ، ولا يجدون من آبائهم وأمهاتهم عوناً لهم على حل هذه المشاكل بل ربما

يجدون منهم ما يزيد هذه المشاكل تعقيداً ، وعندئذ ينفرون من المدرسة ومن انظمتها ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل ربما يتعدى ذلك إلى الشغب والثورة على المدرسة

أنا لا نجد فرقاً كبيراً بين هؤلاء الصبية ، وبين أولئك الذين يجدون المثل العليا فيما أنشأته الاجيال القديمة ، ولذلك تراهم — كهؤلاء الصبية مع فارق بسيط وهو أنهم أشد تمرداً على التقويم — ضحية للهياج العصبي في اكثر الأحيان ، وقد يبلغ المنطق العاطفي بهم حداً يطلبون معه « تزييف » التاريخ ولا يكتفون بذلك فيما يدور بينهم من حوار ومناقشة بل يتعدى ذلك إلى الاعلان والنشر ..! وفي ذلك ما فيه من الجناية لا على التاريخ وحده بل على الاجيال الجديدة التي تبتغي الصعود والتقدم إلى الأمام

ومن هنا يستطيع القارئ ان يقدر الخسارة الكبرى التي لحقت الادب مثلا من وراء خضوع المتنبي للماضي في مطالع قصائده ولا سيما إذا ادرك قيمة العقلية الأدبية التي يتمتع بها هذا الشاعر ومدى اتساعها وعمقها ، ويستطيع ان يقيس على ذلك ما يشاء من فروع المعرفة .. وهكذا يكون اثر هذا التيار — تيار الماضي في الحياة ، وهكذا تكون النتائج .. ؟

بغداد — محمد شرارة

— سنن الطبيعة —

يامن نزحت وفي الفواد مثاله ... ملكا يصوره انا الرسام
زرني فان خفت الانام وكيدهم ... زر في الخيال اذ الانام نيام
ودع الحديث الى العيون فانها ... نعم الحديث اذا يخاف كلام
واحذر بزورتك الكواكب والسما ... من ان يراك فانه نمام
سر في المحاق اذا استطعت فانه ... للسر احفظ اذ يعم ظلام
سنن الطبيعة هكذا احكامها ... الله كم تقسوا بنا الاحكام

عبد الزهراء الصغير

الثورة العراقية الكبرى

مرحلة من مراحل الكفاح القومي العربي

بقلم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني

رأينا من اللمحة الموجزة في تاريخ ﴿ العراق القديم ﴾ في ﴿ الفصل الاول ﴾ من هذا الكتاب ان العراق كان منذ أقدم العصور موطناً للشعوب والدول التي انبعثت من الجزيرة العربية ، وان العرب قد استقروا في العراق بعد الرسالة ، استقرارهم في سائر أجزاء ﴿ الوطن العربي ﴾ وقامت لهم دول ازدهرت في عهدها الحضارة العربية فشملت هذا الوطن من اقصى شرقيه في العراق الى اقصى غربيه في الاندلس ؛ وبذلك امتازت البلاد الواقعة بين العراق والاندلس بتمكن الروح العربية فيها . وعلى الرغم من المظالم التي أبادت عرب الاندلس وحملتهم على الجلاء منها والانتشار في بلاد المغرب العربية ﴿ مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ﴾ وعلى الرغم من ضياع الحكم العربي وانتقاله الى غير العرب ممن قلدوا العرب وتابعوهم في اعتناق الدين الاسلامي ، نقول على الرغم من كل ما تقدم ذكره بقي هذا الوطن عربياً آهلا باكثرية ساحقة من العنصر العربي ، وبقي القرآن الكريم دستور العرب الحي يحفظ لغتهم ويصون عقيدتهم ويحرس حقهم بالاعتزاز بماضيهم والشعور بذاتيتهم وحسبهم فخراً انه نزل بلسان عربي مبين على خاتم الانبياء والمرسلين ، الزعيم العربي الخالد محمد ﴿ ص ﴾

وليس ادل على شعور العرب بذاتيتهم من حرصهم على دفع الأطماع الاستعمارية عن وطنهم ، فلم يستسلم أي بلد عربي للاستعمار الاوربي ؛ ولم يحتمل أي ضيم للأجنبي ، وقد وجد الطامعون في كل بقعة من هذا الوطن مقاومة عنيفة على الرغم من تكامل استعدادهم ونقص استعداد